العرب
الجمعة 2021/01/08
السنة 43 العدد 11934

في انتظار باب الرزق

حمل نسوة التهريب في المغرب يزداد ثقلا بسبب كورونا

إغلاق معبر سبتة يحيل حمالات البضائع على البطالة والفقر

قَدرُ حمالات البضائع المغربيات في سبتة المعاناة. فبعد معاناتهن أثناء العمل من الحمل الثقيل وظلم مشغليهن والمضايقات اليومية في المعبر، يأتي فايروس كورونا ليضيّق عليهن الخناق ويحيلهن على بطالة أكثر مرارة من العمل الشاق. فلم يبق لهن مورد رزق يقتتن منه، في انتظار حلول جذرية لحياتهن القاسية.

الفنيدق (المغرب) - تتحدث حنان، بكثير من الحيرة عن مستقبل مجهول المعالم، عن دوس الكرامة لسنوات وفقدان القوت المر، عن أحلام تتبدد، وآمال مهدورة على جانبي معبر سبتة الرابط بين المغرب وإسبانيا.

في شريط فيديو توثيقي من إنتاج جمعية "السيدة الحرة"، حول العنف الممارس على النساء والفتيات بجهة طنجة-تطوان-الحسيمة، تبوح حنان بغير قليل من الألم الممزوج بالإحساس بالتيه عن ذكرياتها لسنوات، وهي تشتغل حمالة للبضائع المهربة من سبتة، ذكريات صارت من الماضي بعد التوقف النهائي لنشاط التهريب، منذ إغلاق المعبر في مارس الماضي، دون بوادر فتحه مجددا.

فقدان الزوج ومسؤولية تربية بنتين في عمر الزهور، أخرج حنان، الأرملة ذات 35 ربيعا، قسرا من دفء المنزل إلى قسوة المعبر، متلمسة خطى جدتها التي مهدت لها الطريق للاشتغال في التهريب لتدبر "القوت اليومي المر".

حنان هي واحدة من بضعة آلاف من النساء اللواتي دأبن على عبور الحدود يوميا بحثا عن لقمة العيش المغموسة في المعاناة.

هنّ حوالي 3500 سيدة، أو أكثر بقليل حسب جمعيات محلية. نسوة من مختلف الأعمار يحترفن التهريب بباب سبتة، دفعتهن ظروف العيش الحافي لاحتراف نشاط حاط من كرامتهن، يكابدن الآن المجهول بعدما عانين لسنوات من استغلال كبار المهربين لظروفهن الاجتماعية.

وحسب دراسة أنجزتها جمعية السيدة الحرة، فإن جلّ النساء الحمالات بالمعبر يقاسين ظروفا اجتماعية صعبة، حيث دفعهن الفقر والحاجة أو فقدان المعيل إلى الاشتغال في التهريب، 67 في المئة من بينهن يوجّهن دخلهن إلى إعالة الأسرة وتعليم الأبناء، و33 في المئة للمساهمة في بناء مسكن العائلة.

> النساء يحملن أزيد من 80 كلغ من السلع يوميا، إضافة إلى حمل المضايقات التي يتعرضن لها على جانبي المعبر

وكشفت الدراسة عن أن 73 في المئة من بينهن يعملن في حمل البضائع لفائدة جهات أخرى، بينما 15 في المئة منهن فقط يمارسن التهريب لفائدة حسابهن، فيما يعمل الباقي (12 في المئة) كخادمات بيوت بسبتة.

ويفتقر 43 في المئة من بينهن لأي تغطية صحية، مقابل حصول 48 في المئة على بطاقة الدعم الاجتماعي، بينما تتمتع 7 في المئة من العاملات بالبيوت في سبتة بالتغطية الصحية الإسبانية، كما يعاني 60 في المئة من بينهن من العنف، الجسدي والاقتصادي والنفسي، بشكل دائم.

وضعية من هذا القبيل، دفعت بجمعية السيدة الحرة، إلى تبني موقف مناهض للتهريب والاتجار فيه بسبب ما يرافقه من أوضاع مهينة للكرامة الإنسانية، وتحث بالمقابل الجهات المسؤولة على ضرورة خلق بدائل أخرى للمشتغلين بالتهريب.

وأبرزت الحقوقية مريم الزموري، خلال ندوة رقمية حول إغلاق معبر باب سبتة ومنع التهريب، أن تجارة المعبر الحدودي كرست استغلال كبار التجار والوسطاء لحمالات البضائع.

وتابعت، أنّ "عددا كبيرا من النساء كنّ يعرّضن حياتهن بشكل يومي للخطر، إذ يكفي التذكير بسقوط 10 ضحايا جراء حوادث التدافع بين سنتي 2009 و2020، وهو أمر مؤسف دفعنا، كجمعيات نسائية وحقوقية، إلى التنبيه، عبر بيانات ومذكرات، إلى خطورة الوضع الذي كان قائما".

حنان بدورها لا تخفي حجم المعاناة التي كابدتها نساء المعبر لضمان "دخل يومي هزيل أحيانا ومحترم أحيانا أخرى"، مبرزة أن النساء كن يحملن أزيد من 80 كلغ من السلع مقابل 150 إلى 170 درهما في اليوم، دون الحديث عن حجم المضايقات التي تعرضن لها مرارا وتكرارا على جانبي المعبر، قبل رفع المبلغ إلى 300 درهم إثر احتجاجهن على كبار التجار.

وتجمع 60 في المئة من نساء المعبر، حسب تقرير جمعية السيدة الحرة، على أن التهريب المعيشي "عمل غير لائق"، بينما تقر الـ40 في المئة أنه "عمل لائق لكونه يوفر المصروف الشهري"، بالرغم من أن 93 من بينهن صرحن بأن وضعيتهن الصحية "سيئة" أو "متوسطة" لكونهن يعانين من أحد الأمراض على صلة بهذا العمل.

الآن وبعد إغلاق المعبر، صار البحث عن بديل لممتهني التهريب المعيشي ضرورة ملحة لضمان الاستقرار الاجتماعي في منطقة حدودية يقدر عدد العاملين فيها في التهريب المعيشي بحوالي 10 آلاف شخص، نصفهم من النساء، كما يرتهن اقتصاد المنطقة بشكل كبير إلى التجارة الحدودية.

وحسب جمعية السيدة الحرة، كانت الانعكاسات الاجتماعية لإغلاق المعبر "خطيرة"، إذ أن 35 في المئة من النساء لم يجدن عملا بديلا، و43 في المئة يشتغلن في المنازل، و15 في المئة يشتغلن كبائعات متجولات، بينما تشتغل 7 في المئة كأجيرات بأجور متدنية تقل عن 1500 درهم في الشهر بالنسبة لـ75 في المئة من بينهن. وتشتكي 53 في المئة من نساء المعبر من ارتفاع معدل العنف بعد توقف نشاطهن، إلى جانب تداعيات أخرى كالطرد من منازل الكراء والعجز عن دفع فواتير الماء والكهرباء وتكاليف التطبيب.

هاربون من الفقر إلى القهر

إن كانت جل نساء التهريب يرين أن أفضل حل بالنسبة لهن هو إعادة فتح المعبر بكل بساطة، فإن التوجه الراجح يتمثل في إعادة إدماج المشتغلين والمشتغلات في هذا النشاط غير القانوني في مشاريع جديدة تضمن العيش الكريم وتحفظ الكرامة الإنسانية.

ولكون إنشاء منطقة حرة في محيط مدينة سبتة المحتلة كان من بين توصيات العديد من الهيئات الحقوقية والمدنية والبرلمانية، فقد تم مؤخرا الإعلان عن إطلاق مشروع إنجاز منطقة الأنشطة الاقتصادية للفنيدق، والتي ستساهم في خلق فرص الشغل لامتصاص ظاهرة البطالة التي ارتفع معدلها بسبب توقف النشاط التجاري على مستوى معبر باب سبتة.

وسيساهم هذا المشروع، في توفير بدائل مدعومة بإنشاء منصة لنقل السلع القادمة من مدينة سبتة عبر ميناء طنجة المتوسط.

كما تم إيلاء حرص خاص، في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بعمالة المضيق - الفنيدق، لدعم التعاونيات والمشاريع المدرة للدخل لفائدة الراغبين في إطلاق مشاريع خاصة، على أمل التخفيف من الوقع الاجتماعي لقرار إغلاق معبر باب سبتة.

لاجئون سوريون يعيشون لوعة التشرد في لبنان

المنية (لبنان) – تتكرر مأساة اللاجئين السوريين في لبنان بشكل دائم في مخيمات اللجوء، لكن هذه المرة ليس بفعل الطبيعة أو خطأ فردي، إنما بسبب إقدام شبان على إحراق مخيم "بحنين" في منطقة المنية شمال لبنان مشردين بذلك أكثر من 100 عائلة.

بعد نحو عشرة أيام على إحراق المخيم، ما زالت العائلات السورية مشتتة في عدة مخيمات أخرى منتشرة في منطقة الشمال، والبعض الآخر وجد له مأوى عند عائلات لبنانية بشكل مؤقت.

ويشكو اللاجئون من ضيق الأماكن التي وجدوها بعد ليلة باتوا خلالها في العراء، فهم يعيشون حاليا كل 3 أو 4 عائلات في خيمة واحدة لا تتعدى 4 أمتار.

وأصبحت عائلات مخيم المنية تعيش ظروفا أصعب مما كانت عليه قبل حادثة إحراق المخيم.

يقول اللاجئ شجاع عبدالسلام المحمد (50 عاما)، "أنا من سكان المخيم الذي تم إحراقه بعد شجار وقع بين شباب من المخيم وبين آخرين من أهل المنية".

يقول المحمد، حيث كان هو وعائلته داخل الخيمة، وفجأة سمعوا صراخ، والناس تركض وتترك خيامها فسأل عن السبب، أجابوه، أن هناك من يريد إحراق المخيم.

يضيف، "خرجت مع أطفالي من الخيمة لإبعادهم عن الحريق، وبتنا ليلتنا الأولى في العراء والبرد القارس».

وأشار المحمد، إلى أن المرض أصاب أولاده المرض، وانتابهم الخوف لعدم وجود مأوى لهم وفقدانهم كافة أغراضهم وحاجياتهم.

وأردف، أن أحد سكان المنطقة طلب منهم البقاء عنده في الليلة الثانية بعد قضاء الأولى في الشارع، بينما توزع بقية اللاجئين الذين شتتهم الحريق على باقي المخيمات، وبعضهم الآخر تم استضافته من قبل أهل المنطقة.

المهجّرون السوريون.. معاناة مستمرة

وتابع المحمد، أنّ المخيم المحترق كان يعيش فيه 100 عائلة موزعة على 95 خيمة، لأن بعض الخيام كان يوجد فيها أكثر من عائلة واحدة.

وذكر أنهم يعيشون بشكل مؤقت، "فاللبنانيون الذين استقبلونا في منازلهم سينتظرون حتى نرتب أمورنا في أقرب وقت ممكن، والكثير من الجمعيات الخيرية أرسلت مساعدات عاجلة، باستثناء الأمم المتحدة لم يصلنا منها شيء".

من جهته يقول بشير محمد درويش (47 عاما)، "نجانا الله، معظم سكان المخيم سالمون ولم يصابوا بأذى، لكن أغراضنا كلها ذهبت ولم يبق لنا أي شيء".

ولفت، أن بعض سكان المخيم وجدوا لهم مأوى عند أهالي المنطقة أو في مخيمات أخرى في المنية عند أقارب لهم. بدوره وصف محمد صادق اليوسف (45 عاما) اللحظات الأولى للحريق قائلا، "تشردنا على مرأى من أعين الناس أنا وأولادي الثلاثة وزوجتي، كنا نائمين، فخرجنا حفاة واستخدمنا سلما للهروب من الحريق كان معلقا على سور المخيم وبتنا ليلتنا الأولى في الشارع".

وأضاف، "اليوم نعيش في مخيم أبوعسكر القريب، وليس لدينا أقارب، ونحن 3 عائلات في خيمة واحدة ولا نملك غيرها".

ولفت اليوسف، إلى أنّ "هناك مشكلة في النوم والحمامات لأن المكان لا يتسع للجميع.. نحن ننام فوق بعضنا البعض".

من جهتها تقول المطلقة عويد العمري (50 عاما)، "لدي 3 أولاد وأعيش في المخيم منذ عام 2011، عندما احترق المخيم خرجنا فجأة إلى الشارع".

وتضيف، "اليوم نعيش عند أناس في مخيم أبوعسكر، نحن 4 عائلات نسكن في خيمة واحدة، وأنا امرأة مطلقة ليس جائزا أن أنام في مكان ضيق به رجال غرباء.. نحن هربنا من الموت في سوريا وجئنا إلى لبنان لكننا ووجدنا الموت هنا أيضا".

وتابعت وهي تبكي، "لدي أولاد صغار تركني والدهم وهم لا يستطيعون إعالتي أو حتى إعالة أنفسهم".

وتشير العمري إلى أنها قضت يومها الأول بعد احتراق خيمتها دون مأوى، و"باتت هي وأطفالها في الشارع دون ملابس غير التي على أجسادهم".

> سوريون يجدون أنفسهم يكابدون هجرة قسرية في لبنان رمت بهم للعراء والجوع بعد أن تشردوا هربا من بلادهم

ومخيم بحنين، هو واحد من العشرات من المخيمات المنتشرة في لبنان، مساحته لا تتجاوز 1500 متر مربع، كان يضم 95 خيمة تسكنها نحو 100 عائلة، أي ما يعادل 379 لاجئا سوريا.

وأشعل شرارة جريمة إحراق المخيم خلاف فردي بين أحد أفراد عائلة "آل المير" اللبنانية وبعض اللاجئين من المخيم.